البيوت · وهكذا وخلال ١٩٧٧ فقط هدم اكثر من ٨٠٠ بيت عربي ، بذريعة تطبيق القوانين الخاصة بمنح تصاريح البناء ·

بل ان الامر تجاوز ذلك الى سلوك سياسة الاضطهاد هذه تجاه البدو على الكثبان والهضاب الصخرية في صحراء النقب · ففي شهر ايلول ١٩٧٧ ، هدمت عشرات المباني · وقد كلفت « كتيبة خضراء » تكونت لهذا الغرض ، بمراقبة البدو بشكل مستمر ·

ولكن بعد اكثر من سنة من يوم الارض ، فان هذه الممارسات لم تعد تمر دون ان تحدث ردود فعل ضحاياها · ففي حين كان شيوخ البدو يقولون بانهم لن يتراجعوا ، ولن يتحركوا من اراضيهم ، وان « الكتيبة الخضراء لا يمكنها ان تحرمنا من الحياة في وطننا » · بدأ سكان قرى الجليل يقاومون محليا عمليات هدم المباني · وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٧٧ ، في مجد الكروم بالجليل كان التمرد : فقد وقفت القرية بأسرها في وجه هدم بيت تعيش فيه عائلة بأسرها ، فجاء رجال الشرطة وبدأوا يطلقون النار عشوائيا : سقط قتيل وعدة جرحى ، ففي الجليل ما زال الاستيطان يقتل ، ومن كانوا يظنون ان عنف يوم الارض يمثل حادثا معزولا لا بد ان يثوبوا الى رشدهم : فالتهويد يواجه مقاومة متزايدة ·

ففي يوم ٢٣ ايلول ١٩٧٧ ، اضرب كل سكان قرية ام الفحم ، التي انطلقت منها حركة ابناء الارض ، للاحتجاج على انعدام الماء · وقد حدث تظاهرة كبيرة شارك فيها كل سكان القرية دون ان يؤدي ذلك الى اي حادث ، فقد رأت الشرطة ان تتجنب المجابهة · وفي اليوم التالي اضرب التلاميذ والطلبة للمطالبة بالتعليم الثانوي في القرية · وفي نفس الوقت ، اوقفت الشرطة في شمال الجليل مجموعة من الشبان الدروز بتهمة «الاحتلال غير الشرعي» والبدء بزراعة ارض افتكت من اصحابها وكان من المزمع اقامة مستوطنة يهودية فيها ·

ذلك انه منذ ١٠ اذار ١٩٧٦ ، ومنذ نشر تقرير كيننغ تغير شيء ما لدى عرب الداخل· فكل هيكل النفاق الذي اقيم تحت ادارة توليدانو حيث يعني التهويد تنمية ، قد انهار ، ولن يعود الامر كما كان عليه سابقا ·

ذلك ان تقرير كيننغ ، هذا الافراز المنطقي لمائة سنة من الاستيطان ، قد كشف للعرب ، غموض طبيعة « مواطنيهم » في دولة اسرائيل · ومن الآن فصاعدا فان الاوراق صارت على الطاولة ، وبدأت اللعبة ·

لكن لا بد من فهم حول ماذا ستدور هذه اللعبة ؟

ذلك ان ما هو موضع تساؤل في الجليل وفي غيرها من المناطق حيث يعيش العرب ليس الا « الطابع اليهودي » للدولة ، اي طابعها الصهيوني ·

ولا شيء يسمح بالاعتقاد بأن المستقبل سيكون شبيها بالماضي · ذلك ان مائة سنة من الاستيطان لا تدل الا على مسار وتقاليد وتاريخ وعادات الرجال الذين يقودون اسرائيل اليوم ، وهذا التاريخ ليس قدرا لا مرد له ، فضمن شروط اخرى ، وضمن موازين قوى اخرى ، وفي نطاق هياكل سلطة اخرى غير القائمة حاليا في اسرائيل ، فان طرد الاستيطان هو نظريا ممكن ·

والسلام ··· اذن ؟

هناك ما يغري بالاعتقاد بان نهاية الحرب الاسرائيلية العربية ، سيجعل من اوضاع الاقلية العربية اي من وضع هؤلاء الرهائن يتغير ·